وقيل فى قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾(التوبة ١١٢) أن السائحين المهاجرين.

وقيل لم يهاجر ﷺ حتى طلب الهجرة، لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (النساء ٧٥).

فالداعى: محمد ﷺ، والقرية: مكة ـ والولى والنصير: الأنصار.

ومن الأسرار الإلهية عن "المدينة" مقر الهجرة أن لا يدخلها الطاعون ولا الدجال. حيث ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال".

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبى ﷺ قال: ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة المنورة ـ ليس لها من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق.

محمد رسول الله ﷺ شهيد يوم القيامة

فقد تفضل الله سبحانه وتعالى بأن أعلى من شأنه على جميع الأنبياء والمرسلين، وستظهر هذه المكانة العالية يوم القيامة حين يبعث كل الخلائق ويكون كل نبى شهيدًا على قومه ويسأل عما فعلوا.

ويكون محمد ﷺ شهيدًا على كل هؤلاء ـ حيث ورد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال له: "اقرأ علىَ القرآن"، فقال: يارسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟.

قال: إنى أشتهى أن اسمعه من غيرى، فقرأ عليه من سورة النساء: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾

(النساء ٤١). فرفع رأسه ونظر إلى النبى فغذا عيناه تذرفان ـ لقد تذكر ذلك اليوم الرهيب والموقف المهول والمشهد المخيف يوم يود الذين كفروا لو تسوى بهم الأرض ـ قال تعالى "يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" (الحج).

وقال علماؤنا: بكاء النبى ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيدًا والإشارة لقوله: (على هؤلاء) إلى كفار قريش وغيرهم من الكفار وإنما خص كفار قريش بالذكر لأن وظيفة العذاب أشد عليهم من غيرهم لعنادهم عند رؤية المعجزات وما أظهر الله على يديه من خوارق العادات دليل الإشارة إلى جميع أمته.

ولقد أورد مثل هذه الآية فى سورة النحل لقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل ٨٩).

وأورد ابن كثير: بشأن هذه الآية السر الإلهى حولها بقوله مخاطبًا عبده ورسوله محمد ﷺ أن أذكر ويل اليوم وهوله وما منحك الله من الشرف العظيم الذى هو سيد المرسلين بحق والذى أرسل للعالمين كافة.

القسم الوحيد بالقرآن صدر من الله للرسول محمد ﷺ

قال تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الحجر٧٢).

قال القاض أبو بكر بن العربى: قال المفسرون بأجمعهم أقسم الله تعالى ها هنا بحياة محمد ﷺ تشريفًا له. إن قومه من قريش فى

سكرتهم يعمهون وفى حيرتهم يترددون. وهكذا قال القاض عياش: أجمع أهل التفسير فى هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ﷺ _ ومعناه: وبقائك يا محمد ، وقيل: وحياتك _ وهذا نهاية التعظيم وغاية الحب والتشريف.

وقال أبو الجوزاء: ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد ﷺ لأنه أكرم البريه عنده.

القرآن الكريم معجزة خالدة

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على قلب رسوله ﷺ معجزة باقية خالدة. والقرآن نازل لجميع الخلق بما يدل على عموم رسالة النبى محمد ﷺ ، وهو نازل من ربهم الذى هو الحاكم بينهم والحاكم عليهم ، ونزوله من كمال ربوبية الله ، وهو رحمة للعباد وربوبية الله مبنية على الرحمة.

فكل ما أمر الله به عباده ونهاهم عنه فهو رحمة. والقرآن كلام الله ، لأنه منزل من عنده ، فالقرآن هو مأدبة الله الخالدة التى لا يشبع منها العلماء ، فهو باق كما أنزله الله ، تمر عليه السنون وهو على جدته ، لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة.

قال رسول الله ﷺ : "إن الله أنزل على القرآن آمرًا وزاجرًا ، وسنة خالية ، ومثلاً مضروبًا ، فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلقه طول الرد ، ولا تنفض عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ، ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله ، هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ،